إعجام الأعلام

تأليف

محمود مصطفى

استاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية
بالجامعة الأزهرية

ليس فى قراء الأدب العربى من لا يقابل فى قراءاته كل يوم عددا من اعلام الناس، وأسماء البلاد والأنهار والمواقع وما إليها.

وكثير من القراء يمرون بهذه الأعلام سراعا، إما لأنها لا تعنيهم - أو يظنون أنها لا تعنيهم - وإما لأنهم يعرفونها معرفة ما قد يجدون فيها قناعتهم، وإما لأنهم على تشوفهم للوقوف عليها لا يجدون معجما سهلا موجزا يعرف بها تعريفا صحيحاً سريعاً. والكتاب الذى بين يدى الآن يخدم الأدب العربى من هذه الناحية خدمة جليلة، فإن أعلام الأدب العربى كمعالم الطريق، بها يعرف، وعليها يمتد، وحولها ينعطف ويدور.

ولقد خدم العلماء والأدباء القدامى هذا الفرع من التاريخ الأدبى فيما سلف فكانت لهم فيه مؤلفات مشكورة، كمعجم البلدان لياقوت الحموى، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان. وكتاب الأنساب للسمعانى، واللباب فى معرفة الأنساب لابن الأثير، ولب اللباب للسيوطى، ومعجم ما استعجم لأبى عبيد الله البكرى، وتهذيب الأسماء واللغات لأبى زكريا محيي الدين بن شرف النووى، وغيرها

ولكن هذه الكتب لا تصلح للقارىء العصرى مهما تصلح للعالم العصرى، ومهما كانت صالحة للأزمنة التى كتبت فيها. وكلنا يعرف عبارات الفيروزابادى فى التعريف بأعلام الناس والبلاد، وما فيه من جهد حميد بذله، وما فيه من غموض لا يهدينا إلى ما نريد فى عصرنا من حيث الدقة والسرعة.

فكتاب الأستاذ محمود مصطفى فى إعجام الأعلام قد أضاف إلى المكتبة

العربية الحديثة صفحات طيبة كانت فى أشد الحاجة إليها ، وهو عمل شبيه بما يقوم به العلماء الأوربيون من وضع معاجم مختصرة لكل شيء ، فى اصطلاحات العلوم المختلفة ، وفى أعلام العلوم والفنون ، وفى الأسماء التاريخية والجغرافية . وكلنا يعرف فضل « لاروس الصغير » وما يقدمه لنا قسمه التاريخى والجغرافى من معلومات مضبوطة سريعة عن الأعلام العالمية .

ويزيد فى قيمة هذا الكتاب أن مؤلفه جدخبير بموضوعه ، فان له من تضلعه فى علوم اللغة والأدب ، ومشاركته فى سائر العلوم ، ما يجعله خير مؤلف لمثل هذا المعجم النافع . وهو فى توفره على العلم والدرس شبيه بأستاذنا العلامة الشيخ الاسكندرى ، حتى لقد سميناه عن جدارة « الاسكندرى الصغير » ونحن حين نوجز القول فى إطراء هذا الكتاب ومؤلفه إنما نفعل لأن روابط عدة تربطنا بالأستاذ ، ونخشى إن نحن استرسلنا أن نرمى خطأ بمحاباتنا لزميل فاضل ، يجب ألا تكون زمالته وصداقته حائلا دون إنصافه .

وفى الكتاب أكثر من ألف علم من أعلام الأناسى والمواضع ، وبه خمسة مصورات تاريخية للبلاد التى عرفها الاسلام منذ الفتح إلى اليوم ، وبه كذلك فهارس هجائية للأعلام والمواضع .

وقد أقرت الكتاب اللجنة العلمية لجماعة دار العلوم وطبعته الجماعة ، فهو بذلك أول كتاب تخرجه اللجنة العلمية فى سبيل إحياء الأدب العربى ؟

مهدى علام

تاريخ الاسلام السياسى

تاليف

الدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية

اعتزم مؤلف هذا الكتاب أن يخرج تاريخا سياسيا للإسلام فى ستة أجزاء ، ظهر منه منذ أسبوع الجزء الأول فى ستين وستمائة صفحة . وقد تناول فى هذا الجزء : تاريخ العرب قبل الإسلام ، والبعثة النبوية ، والخلفاء الراشدين ، والدولة الأموية .

وقد اعتمد المؤلف على عشرات المصادر العربية والفرنجية .

ولم يقصر بحثه على النواحى السياسية للتاريخ بل عرض لكثير من مظاهر الحضارة كالاجتماع والثقافة ، ولو لم يفعل لكان التاريخ السياسى جافا مملا . فإن الحالة السياسية لأى شعب من الشعوب ليست إلا مظهرا من نظام عام يشمل فلسفته ومثله العليا وحياته الاجتماعية والدينية الخ .

ويستوقفنا عند كلامه عن « المرأة فى الجاهلية » ص (٣٧) ما كتبه عن « وأد البنات » فقد قال .

« ومن عاداتهم المستقبحة أيضا ما كان من وأدهم البنات أحيانا لاعتقادهم أنه ليس بهم من حاجة لتربية نفر غير مفيد ؛ على أن هذا الأمر لم يكن شائعا عند العرب ، بل كان فى بعض الطبقات المنحطة منهم خشية الفقر ، وعلى الأخص فى بنى أسد وتميم ، وقد نهى عن ذلك القرآن الكريم : (وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) . »

فإن الذى نعرفه أن وأد العرب بناتهم كان خشية العار : « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ؟ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ».

ذلك إلى أن هذه العادة لم تكن مقصورة على الطبقات المنحطة ، فان بعض أشراف العرب وأد بناته قبل الاسلام .

ونقتبس فيما يلى بعض ما كتبه الأستاذ المؤلف عن هجرة المسلمين إلى الحبشة، بمناسبة المحنة الحبشية الحاضرة (ص ١٠٦) :

لماذا لم يفكر الرسول فى غير الحبشة ؟

ولما رأى الرسول ما أصاب أصحابه من البلاء قال لهم . « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ؛ وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه . »

ولم يفكر الرسول فى هجرة المسلمين إلى إحدى القبائل العربية ، لأنها كانت ترفض دعوته فى مواسم الحج مجاملة لقريش أو تمسكا بدينها الوثنى كذلك لم لم يفكر فى الهجرة إلى مواطن أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين فى يثرب ونجران وغيرهما ؛ لأن كلا من الجاليتين اليهودية والمسيحية كانت تنازع الأخرى وتنافسها فى النفوذ الأدبى ببلاد العرب ، فهما والحالة هذه لا تقبلان منافسا ثالثا خصوصا إذا كان من العرب أنفسهم الذين يحتقرونهم ويقولون عنهم « لا علينا فى الأميين من سبيل » (١) أما اليمن - وهى مستعمرة للفرس الذين لم يدينوا بدين سماوى - فلم يطمئن الرسول إلى الالتجاء إليها . وقد برهنت الأيام على بعد نظره . فقد كتب كسرى إلى « باذان » عامله على بلاد اليمن : « ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين جلدين من عندك فليأتيانى به » وكذلك كان شأن الحيرة التى

(١) وقد بدا هذا الشعور منهم واضحا عند ما هاجر الرسول إلى المدينة إذ ائتمروا به مرات وجادلوه غير مخلصين حتى وصل بهم الأمر إلى أن قالوا لقريش « لدينكم أفضل من دينه »

كانت إلى ذلك الحين بعيدة غاية البعد عن مكة ، أما الشام فهى بعيدة كذلك فضلا عما كان يسودها هى والحيرة إذ ذاك من اضطراب ، ثم إن كلا من الشام واليمن والحيرة كانت أسواقا هامة لتجارة قريش ، ولقريش بكل منها صلات وثيقة ومصالح متبادلة وزيارات فى أوقات منتظمة . فاذا علمت قريش بوجودهم فى بلد منها ، فانها تطلب إلى أهل ذلك البلد أن يردوهم إليها ويخرجوهم ، كما حاولت ذلك مع النجاشى لولا تسامحه ، وقوة خلقه .

لذلك اتجه الرسول إلى بلاد الحبشة لما كان يعهده عن ملكها من العدل والتسامح .

وفى ذلك يقول الرسول للمسلمين : « فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق . . . . الخ » وقد هاجر عشرة رجال وأربع نسوة ، ثم زاد عددهم حتى بلغ ثلاثة وثمانين رجلا وسبع عشرة امرأة سوى الصبيان ؛ وكلهم من بطون قريش . وكان فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ، والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف . . .

وقد أكرمهم النجاشى وأمنهم على حياتهم وأصبحوا فى رغد من العيش .

فلما رأى أهل قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ، ائتمروا فيما بينهم على أن يبعثوا منهم رجلين جلدين إلى النجاشى ليخرجهم من بلاده ، فبعثوا عبدالله ابن أبى ربيعة وعمرو بن العاص[1] ويقال إنه كان معهما معاوية بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة .

سار عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص إلى النجاشى ومعهما الهدايا وطلبا مقابلته ثم قالا له : « أيها الملك ! إنه قد صوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . » فقال بطارقة النجاشى : أيها الملك ! قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم .

(١) ابن هشام ج ١ ص ٣٠٢

وكان النجاشي بعيد النظر ، فطلب هؤلاء المهاجرين وسألهم عن حقيقة دينهم ؛ فتقدم جعفر بن أبي طالب ووصف له حالة العرب قبل الاسلام وبعده ، وشرح له أن دعوة الرسول ترمي إلى ترك الأوثان وعباده الله والتخلق بمكارم الأخلاق . فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر : نعم . قال : فاقرأه علي . فقرأ جعفر عليه صدرا من كهيعص (سوره مريم - وفيها حديث ميلاد المسيح) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكى أساقفته حتى ابتلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم ، ثم قال النجاشي :

إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما .

ولما خرجا قال عمرو بن العاص : « والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم ، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد » وطلب مقابلة النجاشي في الغد وقال له : « أيها الملك ! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم وسلهم عما يقولون فيه » فطلب النجاشي المهاجرين مرة أخرى فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فقال النجاشي : والله ما عدا عيسى بن مريم . ثم قال : اذهبوا فأنتم شيوم (آمنون) بأرضي من سبكم غرم ، فانصرفوا . وقد رجع بعضهم إلى مكة قبل هجرة الرسول إلى المدينة وأقام بعضهم في الحبشة إلى السنة السابعة للهجرة .

***

وبعد فان الزمن القصير الذي صرفناه في تصفح هذا الكتاب لا يسمح لنا بمواصلة الكتابة عنه الآن ، فلنرجئ ذلك إلى وقت أطول ، مهنئين المؤلف على دأبه وكثرة إنتاجه ؟

مهدي علام